

مبدأ التاريخ الهجري وخطورة تركه - فضل الحرم وعاشوراء

الخطبة الأولى

أما بعد . .

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله حق تقاته بامثال أوامره واجتناب زواجره فإنها وصيته تعالى للأولين والآخرين قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾^(١) أيها المؤمنون إن الله جل ذكره خلق الشمس والقمر وجعل الليل والنهار لحكم عديدة وفوائد كثيرة ذكرها الله تعالى منثورة في كتابه الحكيم في أماكن متفرقة فمن تلك الحكم والفوائد أن يعلم الناس من اختلافهما وتعاقبهما وسيرهما في منازلهما عدد السنين والحساب وتغير الفصول والبروج قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾^(٢) وقال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٣) وقال في ذلك: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(٤) فجعل تعالى معرفة السنين والشهور مستفادة من سير القمر وتنقله في منازلها وذلك من نعم الله على عباده ورحمته بهم إذ إن ظهور هذه العلامة في السماء مشاهد مبصر لا يحتاج إلى حساب ولا كتاب بل يميزه ويعرفه الصغير والكبير والعالم والحاضر والباد بخلاف سير الشمس فإن معرفتها تحتاج إلى حساب وكتاب وفي ذلك عسر ومشقة فالحساب لا يعرفه إلا الأقلون من الخلق إذ إن ذلك أمر غائب لا يشاهد ولما كانت هذه الشريعة مبنية على اليسر والسهولة كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٥) وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٦) وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾^(٧) جعل الله الحساب الشرعي الذي ترتبط به عبادات الناس مبنياً

(١) النساء: ١٣١.

(٢) الإسراء: ١٢.

(٣) يونس: ٥.

(٤) البقرة: ١٨٩.

(٥) الحج: ٧٨.

(٦) المائدة: ٦.

(٧) البقرة: ١٨٥.

على سير القمر قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(١) فهذه الآية العظيمة التي يشاهدها الناس في سماءهم بيدوالهلال صغيراً في أول الشهر ثم يتزايد إلى التمام في نصفه ثم يشرع في النقص والاضمحلال إلى الغياب والزوال في آخر الشهر وهكذا دواليك بما يعرف الناس مواعيت عبادتهم من الصيام والحج وأوقات الزكاة والكفارات وغير ذلك من السنن والمكتوبات وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين))^(٢) كما قال رسول الله ﷺ: ((الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين))^(٣) رواه الشيخان. فجعل الله المرجع في الفطر والصيام إلى رؤيته واعتبار الأهلة في العبادات هي الشريعة التي جاءت بها الأنبياء جميعاً ولكن اليهود والنصارى حرفوا ذلك^(٤).

أيها المؤمنون لقد كانت العرب في جاهليتها تؤرخ بأيامها وأحداثها الكبار ووقائعها العظام واستمر ذلك في حياة النبي ﷺ وخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأوائل خلافة عمر الفاروق رضي الله عنه ثم إنه مع اتساع الخلافة توافرت أسباب البحث عن تأريخ يعمل به المسلمون يجتمعون عليه فجمع عمر الناس سنة ست عشرة أو سبع عشرة من الهجرة فشاورهم من أين يبدأ التأريخ فقال بعضهم: من بعث النبي ﷺ وقال آخرون: من متوفاه فقال عمر رضي الله عنه: من خروجه من مكة إلى المدينة فاتفقوا على ذلك ثم إنهم تشاوروا في أي شهر تبدأ السنة فاتفقوا على أن يكون شهر الله المحرم هو أول الشهر في السنة وقال بعض أهل العلم: إن الصحابة رضي الله عنهم أخذوا التأريخ بالهجرة من قول الله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾^(٥). ومهما يكن من أمر فقد استقر هذا التأريخ في أمة الإسلام منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا وأصبح التأريخ بالهجرة النبوية الشريفة إلى المدينة كما تميزت به أمة الإسلام عن غيرها من الأمم

إذا قامت الدنيا تعد مفاخرًا فتاريخنا الوضاء من الهجرة ابتدا

(١) البقرة: ١٨٩.

(٢) أخرجه البخاري في الصوم برقم ١٩١٣ وأخرجه مسلم في الصيام برقم ١٠٨٠.

(٣) أخرجه البخاري في الصوم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه برقم ١٩٠٧ وأخرجه مسلم في الصيام برقم ١٠٨٠.

(٤) اقتضاء الصراط ٤٧٤/١.

(٥) التوبة: ١٠٨.

فلما دب إلى الأمة داء الوهن والضعف وأصابها العجز والكسل وتسلبت عليها أعداؤها المستعمرون وأذناهم المنافقون فمزقوها شر ممزق كان من جملة ما ذهب من معالم شخصيتها وأعلام تميزها التاريخ العربي الإسلامي الهجري فاستبدل كثير من أبناء الأمة ودولها الذي هو أدنى بالذي هو خير فغدا التاريخ الهجري الإسلامي مجهولاً مغموراً وأصبح التاريخ النصراني الإفرنجي مشهوراً معروفاً. وقد ترتب على هذا التبديل مفسدات كثيرة منها:

عزل أبناء الأمة عن تاريخهم وأجدادهم وأسلافهم وسالف حضارتهم وعزهم ولا يستريب عاقل أن الأمة لا تستطيع أن تصنع مستقبلها ولا أن تصلح واقعها إلا من خلال دراستها لتاريخها ومعرفتها به فبقدر ما تكون الأمة واعية بماضيها محيطية بتاريخها حريصة على الإفادة منه بقدر ما تسمو شخصيتها وتدرک غايتها وتعرف سبيل الوصول إلى بغيتها فالأمة المعزولة عن تاريخها أمة قريبة الجذور سريعة الاجتثاث والأفول لأدنى عارض ولأدهى عائق ولذا حرص الأعداء بشتى صنوفهم: الكافرون المشركون والمنافقون العلمانيون على عزل الأمة عن تاريخها وسلوكوا لذلك طرائق قدداً كان منها بل من أبرزها تغييب التاريخ العربي الإسلامي الهجري.

ومن مفسدات الاعتماد على التاريخ الإفرنجي وجعله هو الأصل في حياة الأمة وتعاملاتها ضياع كثير من الشعائر التعبدية والمعالم الشرعية فلا يدري المسلم على سبيل المثال متى الأيام البيض التي رغب النبي ﷺ في صيامها ولا يعرف ما هي الأشهر الحرم التي أوجب الله على المؤمنين احترامها وتعظيمها ولا يعلم ما هي أشهر الحج التي يفعل فيها وغير ذلك من العبادات.

ومن مفسدات التاريخ بتاريخ النصراني الميلادي وجعله أصلاً في ذلك الوقوع في الإثم العظيم والذنب الكبير الذي نهى الله ورسوله عنه وهو التشبه بالكفار وتقليدهم والتبعية لهم ففيه قول الله تعالى: ﴿لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾^(١) وقال: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾^(٢) وقال ﷺ: ((من تشبه بقوم فهو منهم))^(٣) وقال ﷺ: ((ليس منا من تشبه بغيرنا لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى))^(٤). وقد نهى العلماء رحمهم الله عن تسمية الشهور بالأسماء الأعجمية روي ذلك عن مجاهد وأحمد

(١) المائدة: ٤٨.

(٢) الأحزاب: ١.

(٣) أخرجه أبو داود في اللباس من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه برقم ٤٠٣١ وأخرجه أحمد برقم ٥٠٩٤.

(٤) أخرجه الترمذي في الاستئذان والآداب من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه برقم ٢٦٩٥.

وغيرهما قال شيخ الإسلام رحمه الله: ((الخطاب بها من غير حاجة في أسماء الناس والشهور كالتواريخ ونحو ذلك فهو منهي عنه مع الجهل بالمعنى بلا ريب وأما مع العلم به فكلام أحمد بين في كراهته أيضاً ونحوه ومعناه غير معروف))^(١).

فالتأريخ بتاريخ النصرى الميلاى لا يجوز إلا لحاجة أو تبعاً للتاريخ الهجرى فاحرصوا بارك الله فيكم على المحافظة على معالم شخصية أمتكم وإياكم إياكم والتشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين والعلمانيين وغيرهم فإن الله قد حذركم من ذلك غاية التحذير فقال جل ذكره: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾^(٢).

الخطبة الثانية

أما بعد .

فيا أيها المؤمنون قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ حِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾^(٣) فقد جعل الله تعالى الليل والنهار يتعاقبان فيخلف كل واحد منهما الآخر لمن أراد أن يذكر أي يستدرك مافاتة من عمل هذا مع كثرة تكرر هذا التعاقب وقرب زمانه فكيف أيها الإخوان بتعاقب الشهور وتوالي السنين أليس ذلك مدعاة للتذكر والتفكير والاستدراك بلى والله فهذه دعوة لنا جميعاً أن نتوب إلى الله تعالى ونستدرك ما فات فإنما الأعمال بالخواتيم

فهل لك أن تمحو الذنوب بعبرة وتبكي عليها حسرة وتندما

وتستقبل العام الجديد بتوبة لعلك أن تمحو بها ما تقدما

أيها المؤمنون أنتم في شهر عظيم شرفه الله تعالى وخصه دون سائر الشهور بأن أضافه إليه فاحفظوا حرمة هذا الشهر فإنه من الأشهر الحرم التي قال الله تعالى فيها: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾^(٤). فبادروا عباد الله بالأعمال الصالحة فيه لاسيما الصيام فعن أبي هريرة

(١) اقتضاء الصراط ١/٤٦٤.

(٢) المائدة: ٥١.

(٣) الفرقان: ٦٢.

(٤) التوبة: ٣٦.

رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله الذي تدعونه المحرم))^(١).

شهر الحرام مبارك ميمون والصوم فيه مضاعف مسنون

فأكثرها فيه من الصوم فإن ضعفتم عن ذلك فلا يفوتكم صيام يوم عاشوراء أي يوم العاشر منه فإن فضيلته عظيمة وحرمة قديمة وكان النبي ﷺ يداوم ويتحرى صيامه فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن صوم يوم عاشوراء فقال: ((ما رأيت النبي ﷺ يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم يوم عاشوراء وهذا الشهر يعني شهر رمضان))^(٢) رواه الشيخان. وكان ﷺ يحث عليه ويأمر به فعن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ: سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال: ((يكفر السنة الماضية))^(٣). وأما سبب صومه فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح نجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من عدوهم فصامه فقال: ((أنا أحق بموسى منكم فصامه ﷺ وأمر بصيامه))^(٤) رواه البخاري ومسلم. فهذا يوم أعز الله فيه أوليائه وأحبابه وأذل أعداءه وأعداء رسله فلذا نحن نصومه شكراً لله تعالى على ذلك فنصر موسى عليه السلام هو نصر لنا أمة الإسلام قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(٥). فمن قال: لا إله إلا الله وقام بتوحيد الله وصدق رسله ودعا إليه فهو منا ونحن منه مهما تباعد الزمان ونأى المكان ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾^(٦).

وبإحياء ذكرى ذلك النصر المجيد على ذلك الطاغية الكبير نعلن أن الدعوات لا تهزم بالأذى والحرب والاضطهاد فإن عاقبة الظلم وخيمة والله ناصر دينه وكتابه وأوليائه

تالله ما للدعوات تهزم بالأذى أبداً وفي التاريخ برؤيبي

أيها المؤمنون إن من المعالم البارزة في شريعتكم مخالفة أعداء الله تعالى وعدم التشبه بهم لذا فإن النبي

(١) أخرجه ابن ماجه في الصيام برقم ١٧٤٢.

(٢) أخرجه البخاري في الصوم برقم ٢٠٠٦ وأخرجه مسلم في الصيام ١١٣٢.

(٣) أخرجه مسلم في الصيام برقم ١١٦٢.

(٤) أخرجه البخاري في الصوم برقم ٢٠٠٤ وأخرجه مسلم في الصيام برقم ١١٣٠.

(٥) الأنبياء: ٩٢.

(٦) المؤمنون: ٥٢.

ﷺ حرص على مخالفة اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار في دقيق الأمر وجليله ومن ذلك صيام عاشوراء فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال: فإذا كان العام القابل إن شاء الله صمت اليوم التاسع فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ رواه مسلم، فصوموا أيها المؤمنون اليوم العاشر من هذا الشهر وصوموا اليوم التاسع كما هم نبيكم ﷺ أن يفعل ذلك.